فى أوروبا على وصول مذهب القديس توماس ( إقرأ مكتوب الكنيسة الصادر فى ٢٧ مارس سنة ١٩٠٦ ) ، ثم إن العناصر الخارجية فى أى زمان وفى أى مكان هى قانون عام بين الأمم لتبادل الثقافة. فالآن الخبراء العالميون ينتقلون من وطن إلى وطن فى أرقى الأمم المتحضرة ، والجنود المأجورة أو المساعدة فى الحروب تفعل مثل ذلك ، وفى فرنسا مثلا الآن كثير من زعماء الفكر من أصل أجنبي كالفيلسوف الخالد برغسون وكذلك مدام كوريه ، العلامة المشهور ميرسن ، بل إن أستاذ اللغة الفرنسية نفسها فى السربون (سيبويه الفرنسى) من أصل خارجى وهو العلامة فرتينا ستروفسكى ، ومع ذلك فإن أحداً من الناس لا يمكن أن يشك فى أن هناك حضارة فرنسية قائمة وأن أثرها معروف فى العالم

ومجمل القول أن رينان هذا رجل يؤمن قبل كل اعتبار بالمذهب الوضعى ، وهو مذهب « العلم » الحديث الذي يبنى على المنهج التجريبى الرياضى فى العلوم الطبيعية ، ويسعى أن يجعل من علوم الإنسان الأدبية علوماً لا تقل دقة فى أبحاثها عن العلوم المتقدمة . وهذا الفهم فى نظر أتباع هـذا المذهب يناقض فى أصوله ما ساد فى تاريخ البشرية من نزعات الفكر التى تتلخص فى نظرهم فى نزعة دينية قالت بالوثنية تارة ، وبعبادة مظاهر الطبيعة تارة أخرى ، وبالتأليه تارة ثالثة ، ونزعة تجريدية خالصة يمثلها العهد اليونانى وهى تبنى كأساس على منطق أرسطو ، والفلسفة الاسلامية تتبع هذا العهد . لهذا خرج رينان على المسيحية ، ولهذا أيضاً اعتبر الترجمة فى الاسلام كنقل حرفى أى الفلسفة اليونانية « مخطوطة » بحروف عربية ، وهـذه الترجمة ما هى إلا ترجمة مؤلفات أرسطو « بالذات » ، وتعاليم هذا الفيلسوف هى « الوحيدة » التى سادت التراث الاسلامى من أوله إلى آخره ، وأن هذه الفلسفة لاقت الاضطهاد من علماء الاسلام لأن هذا الدين ضد حرية الرأى والتفكير ، فعداء رينان للاسلام وترجمته وفلسفته ، عداء يتعلق إذاً بمذهبه العام الذى ساد فى فرنسا فى أواخر القرن التاسع عشر . لهذا لزم أن يضاف إلى ردود من عقّب على كتاباته من المسلمين رد جديد ملخص يشتق من طبيعة الآراء والمعارف فى القرن العشرين .

عبد العزيز عزت
عضو بعثة الجامعة المصرية لدكتوراه الدولة

# من برجنا العاجي

فى ورقة منفصلة بين مخلفات « بتهوفن » وجدت هذه الأسطر الدامعة : « الحب ، ليس غير الحب ، هو وحده الذى يستطيع أن يجعل حياتك سعيدة . آه يا إلهى ، دعنى أجدها أخيراً ، تلك التى فى مقدورها أن تدعم فضائلى ، تلك التى قد سُمح لى أن تكون زوجتى »

ومات بتهوفن ولم يُسمح له . أترى الطبيعة عدوة الفنان ، تضن عليه بما تمنحه للآخرين ؟ نعم . إنها لتقسو عليه ، وإنها لتغار منه أحياناً وتقول له فى لغتها الصامتة البليغة :

— أنت تطلب إلىّ أنا أن أمنحك الحب ؟ لا ، إنى أمنحه كل الناس إلا أنت . إنى أمنحه أولئك المساكين الذين لا يستطيعون أن يخلقوا شيئاً ؛ أما أنت فتستطيع أنت نفسك أن تخلق « الحب » . إنك مثلى عبقرية خالقة . كل عملك فى هذا الوجود أن تصنع « الحب » وتمنحه الناس .

وهكذا تتخلى الطبيعة غالباً عن الفنانين العظام ، وتتركهم يبحثون سدى عن السعادة فلا يجدونها كما يجدها الآخرون ملقاة كالفاكهة الناضجة ساقطة تحت الأشجار . إنما هى شىء بعيد ، كلما مدوا إليه أيديهم ابتعد عنهم وتركهم يائسين . عندئذ ينكبون طول حياتهم على كنوز نفوسهم وحدائقها اليانعة يستخرجون منها للناس فاكهة من ذهب وفضة ، تقصر الطبيعة أحياناً عن تقديم مثلها . ولكن الطبيعة تنظر إلى الفنان نظرة التشفى مع بسمة السخرية

— أفهمتنى الآن ، وعلمت أن كلينا يعيش فى الحرمان ، وأن سر وجودنا أن نعطي ولا نأخذ ؟

فيقول لها الفنان فى نبرة ألم :

— نعم ، ولكنك أنت الطبيعة . أما أنا فآدمى مسكين . إنك لا تتألمين ، أما أنا فأتألم ؛ إذ أرى الحياة تزول من تحت قدمى ، ولم يسمح لى بحظ قليل من الهناء الذى يسخى به على الآدميين !

على الآدميين ؟ ومن قال انك منهم ؟ عند ما وضع على منكبيك رداء « العبقرية والخلود خلع عنك فى الحال بعض خصائص الآدميين !

توفيق الحكيم